

الوضع الاقتصادي .. إلى أين؟؟.

عندما يغيب مبدأ محاسبة ومساءلة أية حكومة كانت عن أوجه الخلل والتقصير في أدائها وممارساتها من خلال صحافة حرة شفافة تتكفل بالرقابة على نشاطها وسلوكها، تجنح تلك الحكومة إلى مهاوي العمل لتحقيق المكاسب الفردية لطاقتها ومصالح تلك الجهات التي تدين لها، بدلاً من مهمتها الأساسية المفصلية التي تتمثل بالعمل لأجل مصالح الشعب ومصالح الوطن. وانطلاقاً من هذه النقطة، اعتمدت الشعوب في الدول الديمقراطية مبدأ انتخاب برلماناتها بهدف وضع الشخص المناسب في المكان المناسب من خلال كفاءاته وخبراته عبر صناديق اقتراع حرة، بحيث تتولى تلك البرلمانات (ممثلة الشعب) مسؤولية تعيين الحكومة والإشراف على عملها ومحاسبتها على أخطائها، وحجب الثقة عنها إذا اقتضى الأمر، وتقديم أعضائها إلى محاكم مختصة إن كانت متورطة في أعمال اختلاس المال العام أو أعمال أخرى تسيء إلى مصلحة الشعب لنيل جزائها، وتشكيل حكومة أخرى بديلة تعمل لخدمة المواطن.

في بلدنا سوريا، تجري (انتخابات) شكلية صورية لأعضاء البرلمان والإدارة المحلية يتم تعيينهم عملياً وفق قوائم مسبقة الصنع، وبالمقابل تتشكل حكومة لا علاقة لها بهذا البرلمان، فيحصل افتراق، وتحدث هوة سحيقة بين الشعب والحكومة، هنا، يطل الفساد، هذا الغول المدمر ليعم دوائر ومؤسسات الدولة ويخترق كافة مناحي الحياة لينشر فيها خراباً ودماراً...

في ظل الفساد المستشري، تجري اليوم محاولات الإجهاز على ما تبقى من القيم والأخلاق التي يتمتع بها شعبنا السوري بكل مكوناته، وذلك في ظل غياب الدستور و سيادة قانون الطوارئ والأحكام العرفية غير المبررة ...

لذلك، فإن الوضع الاقتصادي لشعبنا السوري برمته يزداد سوءاً وتدهوراً يوماً بعد يوم، نتيجة النهب المستمر للمال العام وغياب التخطيط الاقتصادي ومشاريع التنمية، التي تؤدي دورها إلى تفشي البطالة في المجتمع مع ما تحمل معها من أمراض وتبعات تتعكس سلباً على حياة المجتمع برمته.

أما الحديث عن الوضع المعيشي لشعبنا الكردي في سوريا، فله شجون وشجون، إذ يعاني مجتمعنا الكردي من تأثير مشاريع اقتصادية-سياسية خطيرة مزمنة لم تمارسها دولة على وجه الأرض مع مواطنيها، من أهمها مشروع الحزام العربي (١٩٧٣) الذي قضى بنزع ملكية الأراضي الزراعية من أصحابها الحقيقيين الأكراد وتوزيعها على فلاحين عرب أنت بهم السلطات من خارج المحافظة بغية تجويع شعبنا وقهره وتذويبه وإلغاء

خصوصيته القومية، ومشروع الإحصاء الاستثنائي العنصري الذي جرى في محافظة الحسكة عام ١٩٦٢ الذي قضى بحرمان أكثر من مائة ألف مواطن بتاريخه من حق المواطنة واعتبارهم أجانب في بلدهم...

هذان المشروعان الخطيران بكل معنى الكلمة، إلى جانب سلسلة من التدابير والسياسات الاستثنائية الخاصة بشعبنا كسياسة التعريب وسد أبواب العمل والتوظيف أمام أبنائنا... الخ... خلقت حالة من الفقر يندر أن ترى لها مثيلاً إلا في الدول الفقيرة بثرواتها، رغم تمتع المناطق الكردية في البلاد بخيرات وفيرة من بترول وقطن وقمح وغيرها، أدت إلى إفراغ العديد من القرى من سكانها ولجوئهم إلى أطراف المدن الكبرى مثل حلب ودمشق والرقعة ليكسبوا قوت يومهم عبر ممارسة أعمال العتالة والعمل في المطاعم والمقاهي والبناء.

بعد الأحداث الدامية التي شهدتها المناطق الكردية في آذار ٢٠٠٤، ازدادت حدة تعامل الشوفينية مع أبناء شعبنا، حيث زادت من سد أبواب العمل والتوظيف وأوصدتها أمامهم، ليس هذا فحسب، بل تقوم بين الفينة والأخرى بمحاربتهم بلقمة عيش أطفالهم من خلال فصلهم من العمل هنا وهناك لعدم انجرارهم إلى مواقع العداء لقضية شعبهم العادلة.

إن مجمل هذه السياسات الضاغطة على أبناء شعبنا تزيد من حالة الاغتراب لديه، وتدفع البعض منهم إلى السلبية والانعزالية والتفوق، وبروز التطرف والمزيد من الاحتقان التي تسيء إساءة بالغة إلى الوحدة الوطنية التي تقتضي المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، والكف عن ممارسة سياسة التمييز العنصري الجارية بحق أبناء شعبنا، ورفع الحظر عن الثقافة واللغة الكردية، واعتبار اللغة والتراث الكردي جزءاً من الثقافة الوطنية السورية العامة، بالإضافة إلى إلغاء المشاريع سالفة الذكر والتعويض عن المتضررين منها، والاعتذار الرسمي من شعبنا عما مورس بحقه من مظالم لم يسبق أن تعاملت دولة مع مواطنيها بتلك الصورة المزرية فأساءت بذلك إلى سمعة البلاد ومكانتها بين دول العالم.

إن القوى الوطنية والديمقراطية السورية داخل الجبهة وخارجها، بالإضافة إلى الفعاليات الثقافية والمجتمعية ودعاة حقوق الإنسان، وكل من تعز عليه كرامة البلاد وعزتها، مدعوة اليوم إلى العمل على إزاحة كابوس تلك المشاريع الجائمة على صدر شعبنا، والعمل على تحسين وضعه الاقتصادي والسياسي، فالوضع يندز بمخاطر جدية، تتحمل مسؤوليته السلطة التي مارست ولا تزال تمارس خططها وبرامجها دون أي شعور بالمسؤولية، وكأنها تتعامل مع أعدائها وليس مع أبناء شعبيها الذين ساهموا إلى جانب أشقائهم في تأسيس ركائز هذا البلد وقدموا الغالي والنفيس لقاء تحرره وبنائه!..